# افتراءات المستشرقين على رسالة النبي ﷺ والرد عليها:



تعقبنا في مقالات سابقة افتراءات المستشرقين على عقيدة المسلمين في الله -تعالى-، وملائكته، وعقيدتهم في كتابه العزيز القويم، وأتينا على مفترياتهم في ذلك حتى أصبحت كالصريم، وفي هذا المقال، وما يليه سنتعقبهم أيضًا -بمشيئة الله تعالى- فيما افتروه على عقيدتنا في رسالة نبينا ﷺ.

أ.د/ عبد المنعم فؤاد (*)

ذلك لأن عقيدة الإيمان برسالة النبي ﷺ من العقائد الهامة في الدين الإسلامي بعد الإيمان بالله -تعالى-، وملائكته، وكتبه، على اعتبار أن هذه الرسالة مكملة للرسالات السابقة، ودالة على ثبوتها وصدق حامليها من الأنبياء السابقين، وأن المسلم لا يكتمل إيمانه إلا بالإقرار والاعتراف بهذه الرسائل بجوار رسالة المصطفى ﷺ.

لقوله تعالى:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٨٥)

لذلك دأب عدد من المستشرقين على التشكيك في هذه الرسالة المكملة، والخاتمة، وقام بتوجيه طعنات، وإطلاق افتراءات على هذا المعتقد، بدءًا: بنفي ثبوت الوحي المنزل على المصطفى الأكرم -عليه الصلاة والسلام-، ومرورًا بنفي عالمية الرسالة، وأخرى بالتشكيك في الآيات والمعجزات الدالة عليها، ثم انتهاء بالهجوم على شخص صاحب الرسالة الغراء، والذي لم يكن يُعرف في زمانه إلا بالصادق الأمين، صاحب الخلق العظيم -عليه من الله أفضل صلاة وأتم تسليم-، وما ذاك كله إلا لكي يصلوا إلى القول بأن محمدًا ﷺ شخص يُخطئ كثيرًا، وليس نبيًا، ولا رسولًا؛ ومن ثمّ وجب علينا أن نناقش هذه المزاعم، ونفند مفترياتهم فيها -بعون منه سبحانه-: نقلًا، وعقلًا: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾ (الأنفال: ٤٢): فنبدأ:

(*) عميد كلية العلوم الإسلامية للوافدين.



**أولًا: زعمهم بنفي الوحي ونزوله على النبي -عليه الصلاة والسلام-:**

معلوم بالأدلة اليقينية أن رسالة النبي ﷺ ثابتة بالوحي، لكن غلاة المستشرقين لم يتقبلوا هذا الأمر فزعموا:

١- أن محمدًا ﷺ ادَّعى ذلك ادعاءً، وأن مسألة الوحي مسألة غير مرئية، ومستحيلة، وكل ما في الأمر أن (محمدًا) على حد تعبير المستشرق (جب) «اعتقد أنه يُوحَى إليه نتيجة لبعض التأثيرات الخارجية، حيث كانت مكة بيئة غنية بالتجارب الإنسانية؛ نظرًا لموقعها التجاري الهام بين المحيط الهندي، والبحر الأبيض المتوسط، واحتكارها للتجارة، ومجيء الناس من كل مكان إليها، فتميز ساكنوها بعلاقات دبلوماسية مع الوافدين من رومان، وغيرهم؛ مما عمق في قاداتهم القدرات العقلية، والصفات الأخلاقية الحكيمة مثل: ضبط النفس، وغيرها، وكان محمدٌ أحد هؤلاء القادة، وبسبب ذلك نرى أن محمدًا قد نجح في دعوته -كرسول- لأنه كان مكيًا»[(١)].

٢- ثم يقولون: «إن ادعاءه تنزُّل الوحي عليه، وهو في عزلته وهمٌ وخيال؛ إذ ليس هناك ما يثبت عند القسيس (لامانس) أن محمدًا كان يميل إلى الاعتكاف، والعزلة؛ لأن هذا الأمر لا يتفق على حد تعبيره مع نفرة محمد من الوحدة، وكراهيته المشهورة للنسك».

٣- أو أن هذا الادعاء هو نتيجة لنوبات صرع كما يفتري (نولدكه) كانت تصيب محمدًا على فترات، فيتكلم بكلام يقول مرة: إنه قرآن، وأخرى حديث قدسي، وثالثة حديث نبوي[(٢)] وكوَّن بذلك رسالة مليئة بالحكايات، والأساطير ويزعم أنها ربانية[(٣)].

وهكذا يستبعد المستشرقون بكل سهولة -كما نرى من تخبطهم- الرسالة السماوية للنبي محمد ﷺ وينتهون إلى أنها نتاج إنسان وبيئة، أو أنها من وحي الخيال، ونوبات الصرع -المزعومة- ولا علاقة لها بالوحي السماوي؛ لأنه مستبعد ومستحيل في دنيا الواقع المنظور -حسب ما يتخيلون-.

## مناقشة ونقد:

**أولًا: الرسالات اصطفاء لا اكتساب:**

إن الرسالات السماوية معروفة عند كل العقلاء أنها في جوهرها اصطفاء واجتباء من الله -عز وجل- لمن يشاء من خلقه ملك، أو إنسان، وهو سبحانه فعَّال لما يريد، قال تبارك وتعالى:

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (الحج: ٧٥)

فإعطاء الرسالة ليس لأي شخص بل للذي يُصطفى، ويكون أهلًا لذلك، كما أن المصطفى من البشر لا يأتيه بوحي الله إلا ملك مصطفى أيضًا، فالمصطفى لا يأتي إلا للمصطفى، وهذا يعني أن أي رسالة لا يمكن أن ينالها إنسان بالتمني، أو بالتخيلات، ولا بالرياضة الروحية، ولا بما يكتسبه من خبرات، ولا بموقع بلدته المتميز بين البلاد، ولا بعبقريته، أو ذكائه البارع؛ لأن هذا الأمر ليس بيد البشر، بل بيد خالق البشر، ومدبر الكون الذي يعلم دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء.

---

(١) انظر دراسات استشراقية وحضارية (كتاب دوري محكم) ص١٥٩ - ١٦٠.

(٢) نقلًا عن: أوربا والإسلام ص٨٩ - د/ عبد الحليم محمود.

(٣) المصدر السابق ص٨٩ - وشبهات وأباطيل خصوم الإسلام ص٣٥.

وقد حدث هذا الاصطفاء لمن يحمل رسالة الله من البشر في التاريخ الإنساني مرات عديدة، ولم تكن هناك غرابة في الأمر، ورسالة نبينا ﷺ واحدة من هذه الرسالات، وتحمل معها براهين، وآيات، فما الغرابة في هذا الأمر الجديد القديم؟!

ولماذا لم يكن محمد - صلوات ربي وسلامه عليه- واحدًا من هؤلاء الأفاضل ما دام معه ما يدل على ذلك من الآيات البينات؟!

أم إن الحقد والحسد أعميا بصيرة المستشرقين، وأنسياهم التاريخ الديني ووقائعه، وجعلاهم يغالطون، وعن الموضوعية يبتعدون لكي يشوهوا جزءًا هامًا من الرسالات السماوية التي جاءت عبر تاريخ الجنس البشري، والمتمثل في رسالة ودين هذا المصطفى ﷺ، لدرجة أن واحدًا منهم فرنسي الأصل يسمي (كيمون) صرخ في كتاب له يسمى (باثولوجيا الإسلام) ليقول فيه: «إن الديانة المحمدية: جذام تفشَّى بين الناس... بل هو مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث علي الخمول، والكسل، ولا يوقظه منها إلا ليسفك الدماء، ويدمن علي معاقرة الخمور، ويجمح في القبائح، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رءوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة، والذهول العقلي إلى ما لا نهاية... والتعود على عادات ستنقلب إلى طباع أصلية ككراهية لحم الخنزير، والنبيذ، والموسيقى»(٤).

ويفهم من هذه السطور، والتي حاد صاحبها المخمور عاشق الخنازير عن أدب الكتابة فضلًا عن الأسلوب العلمي في الدراسة، والحكمة: أن الدافع وراء الإنكار لرسالة خير الأنام هو الحقد الذي سكن في قلوب المستشرقين لا غير.

**ثانيًا: الوحي حقيقة لا خيال:**

ومما يؤكد ثبوت هذا الحقد، واستقراره في قلوبهم أن هؤلاء بنوا إنكارهم لثبوت الرسالة على إنكار الوحي، وأنه أمر مستحيل كما نقلنا عنهم!

ومعلوم: أن إنكار هذا باطل، وما بُني على باطل فهو باطل؛ ذلك لأن الرسالتين السابقتين لم تثبت واحدة منهما إلا عن طريق الوحي، فلو سُلم للقائلين بالإنكار للزم عليه إنكار الرسالة التي أتى بها موسى عليه السلام في اليهودية، وكذلك الرسالة التي أتى بها عيسى عليه السلام في النصرانية، ولا أظن أن أحدًا من المستشرقين الذين ينتسبون إلى رسالة موسى وعيسى -عليهما السلام- يُسلم بهذا الأمر، فلماذا إذن يُنكر على رسول الله ﷺ بأن الوحي الذي بلغه رسالة الله - عز وجل- إلى العالمين؟

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: العلم يشهد بثبوت الوحي، والرسالة، ومن ينكر الوحي المنزل على الرسول الأكرم -عليه من الله أفضل صلاة وأتم تسليم- لا لشيء إلا أنه غير مرئي، ومستحيل سماعه ونزوله، فإنه قد جانب كل المسلمات في دنيا الواقع؛ ذلك لأن أشياء كثيرة في واقعنا لم نرها ولم نسمعها، وهي تجري حولنا في كل لحظة، ومع ذلك نسلم بوجودها بيقين.

وقد استطاع العلم الحديث -كما يقول الأستاذ: وحيد الدين خان في كتابه (الإسلام يتحدى)(٥) أن ييسر إدراكها عن طريق الأجهزة العلمية التي اخترعناها، وهذه الأجهزة تستطيع أن تدل على صوت ذباب طائر على بضعة أميال، وكأنه يطير عند أذنك.

---

(٤) نقلًا عن الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص٥٥، د/ محمد البهي.

(٥) ص٩٦ ترجمة: ظفر الدين خان، ومراجعة وتقديم: د/ عبد الصبور شاهين - مكتبة القرآن - القاهرة.

ومن الأجهزة العلمية ما وصل التقدم فيه إلى حد أنها تُسجل صدام الأشعة الكونية في الفضاء، وتُسمعك أشياء لا يمكن سماعها بالطرق السمعية التقليدية.

وهذه الطاقة غير العادية للسماع لا تخص الآلات العلمية الحديثة -فحسب- وإنما وهبها الله لبعض الحيوانات أيضًا... إذ تسمع أصواتًا تخرج عن نطاق أسماعنا، فمثلًا الحشرة التي تطلق عليها (العثة) وهي حشرة مجنحة، فلو أنك وضعتها على نافذة مفتوحة فستحدث صوتًا يسمعه زوجها على مسافة بعيدة جدًا، ولسوف يجيبها هذا الزوج بنفس طريقتها.

وهناك نوع خاص من هذه الحشرات يُدعى (الجندب) يحك رجليه وجناحيه، ويصوت بطريقة غير عادية، ويسمع على مبعدة نصف ميل.. ليدعو زوجته، وهي أيضًا تُرسل وهي ساكنة بلا حراك جوابًا لا نعرفه، إنما يعرفه (الجندب) الذكر ثم يلحق بها أينما كانت.. وقد أثبتت البحوث أيضا أن (أبو النطنيط) العادي (Rasshope) لديه قدرة خارقة على السماع حتى إنه يستطيع أن يسمع ويحس بالحركة التي تحدث في نصف قطر من ذرة الأيدروجين.

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي تؤكد إمكان وجود وسائل غير مرئية لدى ذوي الحواس الخاصة[٦].

وإذا كان الأمر كذلك، والواقع يشهد به فما الغرابة في قول إنسان لم يحكم عليه أحد بالكذب قط من قبل هذا الأمر أنه سمع صوتًا من لدن خالقه، وخص به وحده دون سائر الناس، والناس جميعًا في وقته يعلمون أنه لم يُجرّب عليه غير الصدق والأمانة.

وما دام من الممكن أن توجد في هذا العالم حركات وأصوات لا تسمعها أذن الإنسان، ولكن تسجلها الآلات، وما دامت هناك رسائل تدركها حيوانات دون أخرى فما وجه التعجب والاستبعاد؟!

إن صاحب كتاب (الإسلام يتحدى) يقول: «إن الله تعالى -لحكمة يعلمها- يُرسل رسائله بوسائل خافتة خفية إلى الإنسان المختار للرسالة بعد أن يُودع فيه صلاحية التقاطها وفهمها، فليس هناك من تصادم في الحقيقة بين مشاهدتنا وتجاربنا العلمية، فهو واقع من الوقائع الكثيرة التي نشاهدها ونجربها في أمكنة وطرق مختلفة، فالوحي ممكن وغير مستحيل»[٧] انتهى.

ونحن بدورنا نؤكد على هذه الحقيقة الممكنة واللا مستحيلة، ونقول لهؤلاء المستشرقين المنكرين:

انظروا وتأملوا -إن لم تكفكم تلك الأمثلة السابقة- هذا التقدم المذهل في وسائل الاتصالات العالمية الآن، وكيف يكون الإنسان فوق سطح القمر، ويتصل بآخر في الأرض، أو كيف يكون في أقصى الولايات المتحدة الأمريكية، ويتصل بأهله في القاهرة، وهو متكئ على أريكته، يقص عليهم القصص، ويسمع منهم الأخبار.

فإذا كان الإنسان الضعيف استطاع أن ينقل القصص والأفكار، ويسمع الأخبار بهذه الطريقة السهلة المريحة، ولا ينكر ذلك أحد عليه، فلماذا ننكر على الرسول المصطفى ﷺ قوله: إن الله خالق الإنسان، ومعلمه البيان أسمعه أوامره، ونواهيه عن طريق الوحي، وحمّله الرسالة، وأمره بالتبليغ؟!

وقد فعل النبي ﷺ ذلك، وبلغه للخلائق على أكمل وجه، ولا سبيل للإنكار.

(يتبع)

---

(٦) المصدر نفسه ص٩٦.

(٧) المصدر السابق ٩٧.